الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

الخط العربي
نسق المعرفة والتواصل

أ.د.نصيف جاسم محمد
جامعة بغداد- كلية الفنون الجميلة -قسم الفنون التشكيلية
Dr.nsiy@cofarts.uobaghdad.edu.iq

ملخص البحث

حفل التأريخ العربي الإسلامي طوال مسيرته بالكثير من التنوعات الفنية والأدبية التي عُدت سمة بارزة اختص بها ، تأتى ذلك منذ البدايات الأُوَ ل لعصر الرسالة الإسلامية وبروز القرآن الكريم مرجعًا دينيًا وتشريعيًا ومعرفيًا يقود وينظم حياة الناس وشؤونهم اليومية ، وكان للرسول الكريم محمد(ص) الدور الأكبر في تشجيع الناس على القراءة والكتابة لما لها من شأن في حياة الفرد والأُمة، وكان هذا التشجيع منطلقًا نحو إنتشار أعم وأشمل للثقافة والمعرفة الإسلامية التواصلية بين الناس والأُمم كذلك ، وعن طريق ذلك ظهرت التجليات الأُوَل للخط العربي وتعلمه الذي كان للقران دورًا مباشرًا في استقطاب ثلة من الكتبة المُجيدين لكتابة سور وآيات القران الكريم وتدوين الحرف العربي ، ما أثمر عن نسق فني جديد لم يُعرف له سابق الا وهو الخط العربي ، إذ تسابق عديد المهتمين بتعلم وتعليم الخط على وفق رؤىً جديدة تستند إلى قيم عربية اسلامية عمادها القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وإن كانت دون شكل وإعجام حصل لاحقًا ، ومع مرور السنين وتتالي النشاط الإسلامي في ارجاء المعمورة ، وبروز الكوفة عن طريق الخط الذي عرفت به ، وصعود الخلافتين الأموية والعباسية واهتمامهما بتدوين الخط في الأمصار الإسلامية ، بدا الخط العربي يأخذ مناحٍ متعددة سواء على صعيد التنوع الأسلوبي ، أو على صعيد المهارة الفنية والإنتشار الذي صحب الفتوحات الإسلامية ، فضلًا عن القدرة والمطواعية في مواكبة ثقافات البلدان التي تُفتح ، ما جعله منطلقًا معرفيًا تواصليًا للثقافة الإسلامية، و عُدَّ هذا الأمر مهمًا في زمن كانت فيه وسائل الإتصال محدودة وفي بداياتها، ومع صعود الدولة العثمانية برزت اكثر ظاهرة الإهتمام بالخط العربي وبمدونيه ، ما اعطى دفعًا جديدًا نحو إنتشار الوعي الخطي بين الناس والأُمم الإسلامية ، وصحب ذلك اهتمام بلاد فارس بنمط خطي عرف بالخط الفارسي(التعليق) الذي صار سمة بارزة في ثقافة الإيرانيين ، وحصل ذات الشيء في مصر وبلاد المغرب العربي ، مِن ثَمَّ فإن الخط العربي وجد لنفسه بيئات نسقية تواصلية متنوعة في بلاد العرب ، ثم مع البلدان غير العربية ، وصار خصيصة وهُوية معرفية اختص بها العرب والمسلمون على حد سواء . من هذا الباب فأن التراث العربي الذي يضم بين تنوعاته فنون الخط العربي الذي انتشر وتوسع ودخل في ميادين المسابقات والمهرجانات الدولية ، أخذ على عاتقه وعلى مدونية ومُجيديه مسؤولية تطوير وسائط نشره ، وهو الإفضل

في تمثيل الإرث العربي كونه نسقًا مائزًا في مجال الحوار الحضاري المعرفي التواصلي التداولي. ولاسيَّما في نقل ثقافة العرب والمسلمين في زمن يجود بالكثير من وسائط التواصل والانفوميديا، الورقة الحالية تحاول أن تسبر غور هذا النسق الفني المعرفي التواصلي بِوصفه ارثًا حضاريًا مهمًا شكل مفصلًا من مفاصل التأريخ العربي والإسلامي.

تكمن مشكلة البحث في التساؤل الآتي:

هل مَثلت مسيرة خط العربي نسقًا معرفيًا تواصليًا؟، كما يبتغي البحث الوصول إلى الهدف الآتي:

تتبع المسيرة التأريخية للخط العربي وتعرف بعد النسقي المعرفي التواصلي، فضلًا عن ذلك تكمن الأهمية في المحورين الآتيين:

في البعد النظري، يُمكن أن يُسهم في تعزيز الدراسات النظرية ذات العلاقة ببحوث الخط العربي ، وفي بعده التطبيقي يمكن أن يُسهم في تعزيز قدرات المشتغلين في شأن الخط العربي ، ولاسيَّما الخطاطين منهم.

الكلمات المفتاحية : المعرفة، النسق، الخط العربي، التواصل ،التأريخ العربي

المقدمة

1- انتشار الخط العربي

إن الحديث عن الخط العربي كنسق معرفي تواصلي يقودنا لتقفي بدايات انتشاره وامتداده في ارجاء العالمين العربي والإسلامي، وهو مايتفق مع مراحل تدوين القرآن الكريم، إذ كان له الأثر البالغ في اعطاء الفن الإسلامي مكانة لم يشغلها فن من الفنون، ولاسيَّما بعد ورود ذكره في الآيات القرآنية، وجاء تأكيده من قبل نبينا الكريم محمد (ص) بأحاديث شريفة تخص تقنيات الخط وقواعد الحروف واتصالاتها، اذ سار في اتجاهين الأول : استعمال وسائله طريقة للكتابة، والثانية تجويده، ثم تطويره عنصرًا أساسًا في شعبة من شُعب الفنون (درمان، 1990، صفحة 19) . وسار الإتجاهان في نسق تطويري متوازٍ لم يتأخر احداهما عن الآخر ، اذ كلما توافرت الوسائل ، توافر من يقوم بتجويد انماطه وابداع مسارات معرفية جديدة له. والخط العربي لم يكن وليد صدفة ، بل مر بكثير من المراحل، وسُجلت نظريات عدة بشان تأريخه ، منها:

- التوقيف الإلهي ، التي جعلت من الخط العربي والكتابة العربية شيئًا من عند الله .
- إن اصل الخط العربي مشتق من خط المُسند الجنوبي .
- إن اصل الخط العربي هو الخط الحيري الشمالي الذي أُخذ من السريان، أو قيسَ على وفق هجائهم ، و قال بها احد المؤرخين العرب ثم تبعه بعض المحدثين ... و لعل القائلين بهذه النظرية وجدوا بأن هناك تشابها بين القلم العربي والقلم السرياني في اشكال بعض الحروف ، فضلًا عن ظاهرة ربط الحروف ببعضها، وإن ذلك عائد الى أن كلا القلمين أصلهما واحد.

- النظرية الرابعة، التي استقرت حولها معظم الآراء فهي النظرية النبطية التي اعتمدت على ما وجد من تشابه بين النقوش النبطية المكتشفة وبين الخط العربي، وذلك لوجود كثير من الخصائص الخطية واللغوية بينهما وَدَعمت هذه النظرية تلك النقوش الكتابية التي كُشف عنها مثل: نقش أم الجمال الإول، ونقش النمارة ،ونقش زبد، ونقش حران، ونقش أم الجمال الثاني (kenanaonline، نوفمبر 2009)، ومازال الموضوع محل نقاشات وحوارت مستمرة ، إستنادا إلى المعطيات التي أظهرتها التنقيبات الآثارية في شبه الجزيرة العربية وغيرها من مناطق العرب.إلا ان الآراء حول أصل الخطّ العربيّ مع كثرتها (ابن النديم، 2009)، فأن أقربها إلى الصّواب، هو الرأي الذي أجمع عليه العلماء والمستشرقون ، الذي يقول: إنّ الخطّ العربي مشتق من الخطّ النبطي، وأن العرب أخذوا الخط العربي عن أبناء عمومتهم الأنباط قبل الإسلام (ابراهيم، 1969، صفحة 17)، والأنباط هم قبائل عربية نزحت من الجزيرة العربية وسكنوا في المناطق الآرامية في فلسطين وجنوب بلاد الشام والأردن (aletihad، 2016) ، ويؤيد هذا الرأي الدكتور "جواد علي"؛ إذ قال: إن أغلب حروف وأشكال الخط العربي مشابهة لحروف الخطّ النبطي المتأخر وأشكاله (ابراهيم، 1969) ، ولعله أكثر رأي يَركن إلى دليل ماديّ؛ إذ إستند العلماء الذين قالوا به، إلى النقوش النبطية التي كشفت الصلة بين الخط العربي والنبطي، وهذه النقوش مختصرة وبناءً على ماعُثر به من مجموعة من النقوش (ام الجمال ، زبد ، حران) ، واتفق أغلب العلماء والمستشرقون على صواب الرأي الأخير، غير أنّه لا يمكن إهمال الرأي الذي يقول بأن الخطّ العربي مشتق من الخطّ المُسند، بدليل توافر نقوش العربية البائدة، التي تثبت الصلة بين الخط المسند والخطّ العربي، وحاول "حسان صبحي مراد"، الباحث في تأريخ الخطّ العربي، الجمع بين الرأيين؛ حيث إن الخطّ المسند غير بعيد الشبه عن الخط الآرامي، وأن لغة المُسند تأثرت باللغة الآرامية، وأن أبجديتنا العربية ترتبط بأبجدية العرب الأصلية، وهي المُسند، فكيف الجمع بين الرأيين؟ إن النبّط هم قوم عرب، تأثروا بالخط المُسند، وبخط الآرام، ثم اشتقوا من الخط الآرامي خطًّا جديدًا سمي بالخطّ النبطي (مراد، 2003، صفحة 38)، وبهذا حُل الخلاف القائم حول أصل الخطّ العربي. عمومًا، وكما اشرنا سلفًا ، فأن البحث والتقصي مازال مستمرًا ، ومع ظهور أُوَل تباشير الإسلام قام الرسول (ص) منذ البداية على حث أبناء المسلمين على تعلم القراءة والكتابة وإتقانها وتطويعها لأغراضهم وأعمالهم اليومية وحياتهم العملية ومقاصدهم النبيلة، ،اذ روي عنه (ص) أنه قال: "حُسن الخط يزيد الحق وضوحًا"، وكان (ص) يختار أجود الكتاب لكتابة رسائله المباركة التي كان يبعثها إلى الملوك، ويدعوهم فيها إلى الإسلام، ويرى الباحث لإن هذه المحاولة تعد أُوَل المحاولات النسقية المعرفية التواصلية لتعرف الكتابة والتنوير المعرفي بين الإفراد ، التي كانت خطوة مهمة أسهمت في انتشار الكتابة وتجويد الخط في مرحلة لاحقة. وإذا نظرنا إلى تأريخ الخط

العربي، نرى أن عرب الجاهلية كانوا أميين لا يعرفون القراءة والكتابة، ولم يكن للخط دور يُذكر في حياتهم، وما أن نزل القرآن حتى تغير الوضع ودخل الخط العربي الحياة من كل أبوابها... ثم اتسعت رقعة الخط العربي، وازداد انتشاره، وتعددت أشكاله، وتطورت أنماطه، مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وتعدد الشعوب والأمم والأمصار التي اعتنقت الدين الإسلامي، وعزز هذا الإنتشار من مناهج الأداء في خطه ورسمه، فظهرت أنواع عديدة من الخطوط ارتبطت مسمياتها بالشعوب والمدن التي ظهرت فيها، كما انتشر الخط قبل الإسلام في مناطق مجاورة لشبه الجزيرة العربية ،ولاسيَّما في الحيرة والأنبار بالعراق، ومنه وصل إلى الجزيرة عن طريق الحجاز ونجد. وفي هاتين المدينتين وضعت الأسس الأُوَل للخط العربي ، ثم إنتقل إلى مكة الكرمة والمدينة المنورة. ما يشير إلى أن العربي اهتم بالكتابة قبل الإسلام. فقد كتب عقوداً ومعاهدات ووثائق سياسية وتجارية ودون شعرًا ونثرًا (al-hakawati، 2016) ، من جانب آخر جاء اهتمام المسلمين في صدر الرسالة الإسلامية بفن الكتابة والخط ليس لمجرد التدوين اليومي للأنشطة الحياتية ، بل لأنه معرفي تواصلي يعتمد أصولا ثابتة وقواعد دقيقة، تستند إلى موازين وضعها الأقدمين. والخطّ فنّ، لأن محوره الجمال في التعبير، يتوخّاه ويهدف إليه، ومن المؤكد أنه كان للدين الإسلامي أكبر الأثر في تطوير الخطّ العربي، اذ إن القرآن الكريم دُوِّنَ به وانتشر بوساطته، كذلك الأحاديث النبوية، فأصبح يحمل قدرًا من القداسة عند كل عربي ومسلم، فضلًا عن ذلك فإنّ لإنتشار الإسلام في مشرق الأرض ومغربها، ودخول أقوام كثيرة فيه، وسعي كل قوم وكل قطر إلى أن يميِّز نفسه بخطّ معين، فضلًا كبيرًا في وفرة أنواع الخطوط وغنى الأساليب التشكيلية (بغدادي، 2007).

من جانب اخر شهد عصر الخلافة الراشدية ذات الإهتمام بتجويد الكتابة والخط ، ومَثَّل "خالد ابن أبي الهياج" أول خطاط إمتهن هذه الحرفة وذاع صيته في زمن الخليفة الراشد الرابع ، ومرورًا بالعصر الأموي ففي بداية ذلك العصر كان ذلك الخط محدود الإستعمال بخط الوثائق ، ثُم ازداد الإقبال لاحقًا على استخدامه من قبل النساخين والوراقين (حنش، 1990، صفحة 26) ، وفي أواخر ذلك العصر ظهر كاتب المصاحف "قَطبة المُحرر"، الذي عُدَّ مرحلة جديدة في ازدهار وتطور الخط العربي ، ومرحلة التجويد الخطي ، ويبدو إن لحركة تعريب الدواوين ونقلها إلى العربية وضرب العُملة كلها عوامل دفعت الخطاطين إلى تحسين الخط وتجويده ، إذ لإستخرج خطوطًا ذات أنواع جديدة تبتعد عن الخط الكوفي ، فإخترع قلم الطومار، وقلم الجليل وسمي (الجلي) نسبة لكِبر حجمه ، ففتح بذلك باب الإستنباط للخطاطين ، فأخذ يُبدع كل منهم في تجويده والظهور بقواعد جديدة للخط العربي بما يسمو ويرتقي ، فلم يحظَ ذلك الفن إلا أن ينال قسطًا من التجويد والإبتكار إلا في العراق والشام (بهية، 1997، صفحة 17)، ومن الذين اشتهروا بالخط العربي في زمن الدولة الأموية كُتاب كُثُر أسهموا في تحسين الخط العربي منهم

"الحسن البصري" ، وقيل أنه هو الذي قلب القلم الكوفي إلى الثلث ، كذلك "مالك بن دينار" ، و"شعيب بن حمزة الكاتب" ، أما " قَطبة المحرر" ، فقد كان اكتب الناس على الأرض بالعربية (الكردي، 1982، صفحة 32)، وإستمر الإهتمام في زمن الدولة العباسية التي عُدَّت اهم الحقب الخصبة التي ابدع فيها الخطاط المسلم فقد نال الخط العربي اهتمامًا بالغًا مَن قبل خلفاء الدولة الذين اهتموا بفن الخط وبشأن الخطاطين الذين كانوا موضع التقدير والرعاية من قبل خلفاء الدولة العباسية بدافع ديني لما يحفظ به الخط من قدسية لكونه تكتب به الآيات القرآنية، فضلًا عن استخدامه في خط واجهات العمائر الدينية ، والمساجد، ومن الذين أسهموا في تطوير الخط وتحسينه في أُوَل خلافة الدولة العباسية هو "الضحاك بن عجلان" الكاتب فزاد على " قَطبة" الذي اشتهر في العصر الأموي ، ثم جاء بعده "اسحق بن حماد" الكاتب في خلافة المنصور والمهدي ، فزاد على "الضحاك"، وكانا هذان كاتبان يخطان (الجليل) (سهيل، صفحة 45) ، كما استخلص "ابن مقلة" ستة أنواع هي (الثلث ، والنسخ ، والتعليق ، والريحاني ، والرقاع ، والمحقق)... واستمر الخط العربي في التطور والتحسين حتى ظهور الخطاط "ياقوت المستعصمي" (قبلة الكتاب) الذي توفي في (618 هـ) الذي أخد الخط عن أستاذه "صفي الدين عبد المؤمن البغدادي" وأجاده ، وكتب الثلث وماز به ، كذلك ممن اشتهر بخط الثلث "النور محمد ألوسيمي" ، الذي أخذ الخط على يد أستاذه "عبد الله الصيرفي" (النقشبندي، 1985، صفحة 13). كما عنت بغداد بتجويد الخط العربي ، وتفننت بتراكيبه وهذبت أوضاعه ، وظل الخطاطون فيها محافظين على قاعدتهم البغدادية في خطي الثلث والنسخ ، التي وضعها "ابن مقلة" ، و"ابن البواب" ، و"ياقوت المستعصمي" . وبفضل جهود هؤلاء الرواد أصبحت مدرسة بغداد الخطية من المدارس المشهورة في العالم الإسلامي (الجبوري، 2001، صفحة 84) ، وشكلت بغداد محورًا مهمًا في تطوير وتجويد الخط العربي وصولًا الى فترة سقوطها عام (656) م.

2- مناطق التجويد الخطي

تطلب النشر المعرفي التواصلي جهدًا وقدرة لإتمام التداولية على وفق أُطرها المعرفية ، وَعُدَ الخط العربي مجالًا خصبًا افاد من ثلاثة اركان داعمة، هي على النحو الأتي:

1- مكان التطوير والإنتشار (البلد).

2- الإستمرارية والديمومة.

3- التشجيع والمطاولة . وإستنادا الى تلك الأركان يسعى البحث الحالي الى تتبع الإلية النسقية التواصلية التي أسهمت في انتشار وتجويد الخط العربي في بعض من امصار العرب والمسلمين ، وكان لها دور فاعل واضح في تطويره الإبداعي التراكمي:

- بلاد المغرب

شكلت بلاد المغرب العربي (شمال افريقيا) مكانًا مهمًا في تلقي وتطوير فنون الخط العربي ضمن خصوصية هُوياتية نسقية قد تختلف في مظهرية بعض الخطوط ،اذ عُرف الخط الكوفي في بلدان المغرب بعد اعتناق سكان هذه المناطق الدين الإسلامي، وعلى أثر محاولات عديدة كان آخرها محاولة تثبيت حكم الإسلام عندهم. والخط الكوفي هو الخط العربي الذي حمله الفاتحون المسلمون لنشر دينهم وشرائعهم, وفرضوا في الحين نفسه وجوب استعمال اللغة العربية لتعليم سكان البلاد المفتوحة عقيدة الإسلام المتناهية في اليسر... وهكذا أينما حل الخط اتخذ اسم المنطقة التي حل بها وإنطبق هذا على الخط المغربي دون غيره من الخطوط العربية كون الأخير شكل أداة الكتابة منذ ظهور الإسلام، وبما أن المغاربة لم تكن لهم كتابة خاصة إبان فتح الإسلام لبلادهم فإنهم تبنوا الأبجدية الكوفية، والخط المغربي مشتق من الخط الكوفي القديم ، سمي (القيرواني) نسبة إلي القيروان عاصمة المغرب بعد الفتح الإسلامي المؤسسة سنة (50هـ/ 670م) إذ إكتسبت هذه المدينة أهمية سياسية كبرى عندما انفصل المغرب عن الخلافة العباسية, وصارت عاصمة الدولة الأغلبية، ومركز المغرب العلمي المتمثلة بإنشاء جامعتها الكبرى, فتحسن بها الخط المغربي تحسنًا عظيمًا وعُرف بها (raialyoum، 2020) ، ويجمع الباحثون والخطاطون المغاربة، على أن الخط المغربي إنماز عن الخط في المشرق العربي ببساطته وليونته، حيث تُلقبُ أبرز أصنافه بـ(الخط المبسوط)، وذلك لسهولة قراءته وبساطة تشكيلاته الفنية، وفضلًا عن هذا النوع نجد تنويعات أُخَر مثل الخط المُجوهر (حروفه على شكل عقد ولآلئ)، وخط الثلث المغربي، الذي حاول أن يحاكي نظيره الثلثي المشرقي في الزخارف والمحسنات الجمالية.

- إيران

استطاع الفنانون الإيرانيون أن يبدعوا في الفن التصويري لمضامين المخطوطات الفارسية والعربية، كما نجحوا في تجويد الخط وتحسينه وتطويره، اذ انماز الخطاط الإيراني بالجودة والإتقان، وكان في أغلبه مبدعًا في لوحاته.

لقد ابتكر الخطاطون الإيرانيون الخط الفارسي في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). ثم خط النستعليق من الخط الفارسي والنسخ والتعليق (ar.wikipedia، 2024) ، ابتكر بجهود الخطاط "عماد الدين الشيرازي الحسني"، إذ وضع له قاعدة اشتهرت بإسمه فيما بعد سمِّيت قاعدة "عماد"، كما حوَّروا الخط الكوفي فأصبحت المدَّات فيه أكثر من الجرَّات ، واشتهرت مدينة مشهد بخط النستعليق حتى كادت أن تسبق جميع المدن الإيرانية، ومن أهم شواهده ما وجد في جامع "الإمام الرضا" ذي القباب الذهبية، إذ تجسد إبداعات الخطاطين الإيرانيين، فالخطوط التي نُقشت على القباب والمآذن شاهدة على مدى الإتقان والجودة التي حظوا بها، ومن هذه الأماكن الأثرية التي احتوت خطوطًا مهمة: الجامع الكبير في أصفهان،

وجامع لطف الله، والأربعون عمودًا، والجسور الكُثُر ... وكانت "الكتابة العربية" في إيران منذ البداية وسيلة الفرس في قراءة القرآن، وكان تعلمها أمراً شديد الوجوب... وافتتن الإيرانيون في الإبتكار، ونشأت لهم خطوط خاصة كتبوا بها الأدب من شعر ونثر، وخطّوا بها كتب الدين والتأريخ, وشجع الأُمراء ورجال الدين صناعة الخط وتنافسوا في شراء المخطوطات المكتوبة بالقلم الجيد (ابراهيم، قصة الكتابة العربية، 1947، صفحة 9) ، من هنا عُدَّت ايران ملتقىً تواصليًا معرفيًا مهمًا في تجويد الخط العربي وسعة انتشاره.

- تركيا

بعد سقوط الدولة العباسية ، أقيمت الدولة العثمانية سنة (699) هـ ، اذ تأثر الخطاطون الأتراك بمدرسة بغداد، ولاسيَّما بطريقة "ياقوت المستعصمي"، وقلدوها ، واشتهروا بها حتى برعوا فيها ، وأصبحوا أساتذة منهم "علي بن يحيى الصوفي" ، و"حمد الله الأماسي" الذي توفي سنة (926)هـ الذي اتبع طريقة " المستعصمي" البغدادي وأتقن الأقلام الستة، ولاسيَّما خط الثلث (الجبوري م.، نشأة الخط العربي وتطوره، 1974، صفحة 11) ، وورث العثمانيون بقايا التمدّن الإسلامي فإعتنوا بالخطّ اعتناءً منقطع النظير، إذ استقدموا من بلاد إيران عددًا من أعلام الخطّ وتعلَّموا على أيديهم خط النسخ وخطّ الثلث، فأتقنوهما إتقانًا لا مزيد عليه وبلغوا بهما ذروة الفن، حتى أصبحت استانبول كعبةَ فنّ الخطّ بلا منازع، وأسهم الأتراك العثمانيون بشكلٍ كبيرٍ في تطوير فنِّ الخطِّ العربي، ووصلوا به إلى درجةٍ من الإتقان والوضوح وإخضاع الحرف لقواعد ومقاييس ثابتةٍ لكل نوعٍ من أنواع الخطوط العربية، وارتقوا بالخطِّ العربي إلى مكانةٍ مُتفرِّدةٍ بالقياس إلى غيرهم من الأمم الإسلامية .

- الصين

قبل أكثر من ألف عام عندما دخل الإسلام الصين في عهد أسرة "تانغ" الملكية بدأ الصينيون يدينون به وأخذوا يتعلمون تعاليمه عن طريق تلاوة القرآن الكريم وتَعلم الحديث النبوي. وفي الوقت نفسه أخذوا يتعلمون اللغة العربية قراءة وكتابة بطريقتهم الخاصة، حصل ذلك لثلاثة أسباب:

الأول، كان المسلمون الصينيون الأُوَل بحاجة شديدة إلى نسخ آيات القرآن والأحاديث النبوية باللغة العربية لكي ينشروا الفكر الإسلامي على أوسع نطاق وفي أسرع وقت عن طريق دراسة أُمهات الكتب الإسلامية التي ينسخونها بأنفسهم.

الثاني، أنهم كانوا بحاجة إلى كتابة بعض العبارات الدينية بالعربية على واجهات المساجد والمطاعم وعلى أدواتهم المنزلية، وأيضا نقش عبارات التأبين على شواهد قبورهم إظهارًا لعقيدتهم الدينية، أما الثالث كان تعلم فن الخط وإجادته مساقًا شائعًا بين المثقفين الصينيين في ذلك العهد الذي شهدت الصين فيه ازدهارًا شاملًا غير مسبوق، وكان الخط العربي يعجبهم،

ولاسيَّما المسلمون منهم، فصمموا على إجادته. وعبر التأريخ الطويل ترسخ فن الخط العربي في أرض الصين، واندمج مع فنون الخط الصيني المحلي، وتحول إلى فن خط عربي صيني فريد، وأصبح جزءًا من الحضارة الصينية العريقة (مختار، 2022).

- مصر

اعتنى الفاطميون في مصر بالخط العربي أيما إعتناء، وقاموا بكتابته على المآذن والقباب والأروقة وقصور الخلفاء وأضرحة العلماء، وزيَّنوا به واجهات الحمامات والمكتبات العامة ومضامير الخيل وواجهات السجون والأماكن العامة، وظهر في مصر الخط الفاطمي، والخط الكوفي الفاطمي، وإنماز كل منهما بهُوية خاصة، واختلفا عن غيرهما من الخطوط الأُخَر. وازدهرت مصر خلال العصر الفاطمي ثقافيًا، وانتعش الكتاب صناعةً وزخرفةً وتجليدًا وتذهيبًا وتسويقًا، بل إن المبدعين استطاعوا خلال العصر الفاطمي أن يخترعوا قلم الحبر السائل الذي انماز بخزَّان صغير للحبر وله ريشة، وهو لا يختلف عن أقلام الحبر السائل الحديثة، وقدَّم مخترعه هذا القلم للخليفة الفاطمي هدية، لكنه لم يعممه ولم يصنع منه أقلامًا أُخَر ليبيعها لسائر الناس، لأن المجتمع المصري كان يحفل بأنواع مختلفة من أقلام الخط الدقيقة الصنع، التي تبلغ ريشتها جزء من عشرة من السنتيمتر الواحد، التي خطُّوا بها مصاحف صغيرة جدًا توضع في الجيب، أو ربما تُعلق بالحلق (Hartman, 2020, p. 62).

2- انساق الخط العربي و البعد المعرفي

عُرفت المعرفة بأنها الإدراك والوعي وفهم الحقائق ، أو اكتساب المعلومة عن طريق التجربة ، أو عن طريق التأمل في طبيعة الأشياء وتأمل النفس، أو عن طريق الإطلاع على تجارب الآخرين وإستطلاع استنتاجاتهم، المعرفة مرتبطة بالبديهة والبحث لإكتشاف المجهول وتطوير الذات وتطوير التقنيات (الحياري، 2018) ، كما تشير إلى القدرة على التمييز، أو التلاؤم ، وهي كل ما معروف ، أو ما مفهوم ، والمعنى إن الرصيد المعرفي الناتج من حصيلة البحث العلمي والتفكير الفلسفي والدراسات الميدانية والتطوير والمشروعات الإبتكارية وغيرها من اشكال الإنتاج الفكري للانسان عبر الزمان تتمثل جميعها في الرصيد المعرفي، او الكم المعلوم القابل للإستخدام في اي من المجالات (الجابري، 2009)، كذلك عرفها "نانوكا" على أنها الإيمان المحقق الذي يزيد من قدرة الوحدة ، أو الكيان على العمل الفعال. وبهذا التعريف يكون التركيز على العمل أو الأداء الفعال وليس على اكتشاف الحقيقة. وهذا ما يحصل في الغالب. (رزوقي، 2002، صفحة 275) ، ومن منطلق الإشارة والتعريف ، ظهرت عديد المحاولات لتعريف النسق، وهي محاولات تفاوتت في دقتها ووضوحها. ولعل أفضلها الذي قدمه "هارتمان ولاريد" الذي ينص "ذلك الكل الذي يتكون من أجزاء متداخلة فيما بينها ومعتمدة على بعضها بعضًا". أي ماينبني على وفق قاعدة التماسك والتازر والوحدة على مستوى الشكل، أو البنية ،

ولو طبقنا هذا المعنى على تنوعات الخط العربي ، فأنها واقعًا انبنت قواعدها على وفق ذلك ، وهي من الآسباب التي جعلتها انساقًا مطواعة حية طيلة الزمن الذي تطورت فيه ، إذ صورت نظرية الأنساق العامة الأنساق الحية على أنها أنساق مفتوحة دائمًا، أي أنها لا تصل إلى مرحلة الإنغلاق التام أبدا. وعلى الرغم من وجود حدود لهذه الأنساق إلا أن هذه الحدود يجب أن تكون مرنة إلى حد ما بحيث تسمح بمرور المعلومات والطاقة، ويجب أن تستورد الأنساق الحية، إذا ما أرادت حفظ وضعها والإستمرار في الوجود، المعلومات والطاقة من خارج محيطها، أي من البيئة المحيطة بها وهو ما يسمى بالطاقة الداخلية. فالأنساق الحية بتفاعلها مع البيئة المحيطة بها تتكون عندها القابلية للنمو ، اي ان انساق الخط العربي تشكل مذ ظهرت انساقًا معرفية ابداعية حية عمل عليها المشتغلون بالتطوير الدائم بغية الوصول الى افضل صورة شكلية للحروف، أو التكوينات ، ما اعطاها اسبابًا للإستمرار تدوينًا وتجويدًا احترافيًا، فضلًا عن ذلك هناك عديد الخصائص التي انماز بها كل نسق ، هي على النحو الآتي:

- وجود حدود للنسق، وهو الخط الذي يفصل بين ما هو ضمن النسق، وما هو خارجه. وتشكل العناصر الموجودة خارج النسق محيطه.

- الإنفتاح، لكي يضمن النسق استمراره الطبيعي ووجوده الحيوي يجب أن يكون في تفاعل وتبادل مستمرين مع محيطه.

- النظر دائمًا إلى النسق بصفته أُنموذجًا لتحويل المدخلات إلى مخرجات. وبُغية ضمان التحويل الجيد لمدخلاته إلى مخرجات يجب أن يتوافر النسق على تغذية راجعة ، تضمن نقل معلومات حول نتائج تحويل معين لإستعمالها كمدخلات جديدة لتحويل جديد، اذ يمكن لكل مكون من مكونات النسق ان ينقسم إلى أنساق صغيرة (فرعية) لها ذات خصائص النسق الكلي ، ولكل من تلك الخصائص اشتغالاته في بنية النسق الخطي ، كونه بنية تعمل على وفق قواعد خاصة بها مع حضور الإنفتاح نحو انساق معرفية أُخَر ، ما نراه في التكوينات الخطية التي تجمع اكثر من نسق خطي ،الثلث مع النسخ ،أو الديواني ،أو التعليق ، إلى غير ذلك، وسبق أن حدد "سوسير" مفهوم النسق في تعريفه للغة على سبيل المثال بقوله: إن اللغة عبارة عن نسق من العلامات للتعبير عن الإفكار (حمداوي، 2010) ، وبما أن النسق الخطي هو تعبير شكلي ظاهراتي لمنطق لغوي ، لذا هو يعمل على وفق منظومة تتابعية ، ومن حيث المبدأ فهو ينطوي على استقلال ذاتي يشكل كلًا موحدًا وتقترن كُليته بآنية علاقاته التي لاقيمة للأجزاء خارجها ،إنه تمثيل يقرب من مفهوم البنية (كروزويل، 1993، صفحة 192) .

إن الخط العربي عرف بكونه فن وتصميم الكتابة في مختلف اللغات التي تستعمل الحروف العربية، اذ إنمازت الكتابة العربية بكونها متصلة مما يجعلها قابلة لإكتساب أشكال هندسية مختلفة عن طريق المد والرجع والإستدارة والتزوية والتشابك والتداخل والتركيب (طبيشات،

2018)، تلك المزايا التي تمتع بها الخط العربي اعطته سعة في التداول والإنتشار بين عموم الناس الذين وجدوا فيه تطابقًا مع اللغة المحكية السائدة.

ان فنُّ الخطِّ العربي عد فنًّا إسلاميًّا خالصًا؛ فهو من صنيع الدين الإسلامي، وله ارتباطه الوثيق بكتابه الكريم، ولم يَسْبِق للكلمة أن كانت فنًّا مرئيًّا في أُمَّة من الأمم قبل نزول القرآن الكريم (الشامي، 1990-1987، صفحة 198)، بل إنه ارتقى بالخط الى مراتب افضل وظيفيًا وجماليًا من حيث التنوع النسقي والمعرفي ، وهو أمر دأب عليه خطاطوا العالمين العربي والإسلامي ، ولا أدلَّ على عناية المسلمين بذلك الفنِّ الأصيل ، (الكيلاني، 1987، صفحة 20) ، واشتمل ذلك تنوع في نسق البنيات والمعاني والدلالات التي يؤشر عليها التكوين ، فضلًا عن التفرع عن هذه الخطوط الى فروعٌ أُخَر جعلتْ هذا الفنَّ ثريًّا قادرًا على العطاء (الشايب، 1994، صفحة 25) ، ويبدو أن هذه القدرة الإبداعية لم تكن تتأتى لولا العلاقة الرابطة التي اوجدها الخط العربي بين المجودين والمهتمين بالخط في امصار المسلمين ، وإن الخطَّ العربي لم يَنَلْ عند أُمَّة من الأمم ذوات الحضارة ما ناله عند المسلمين، من العناية به، والتفنُّنِ فيه (المصرف، مصور الخط العربي، 1980) ، ويأخذنا البحث إلى تقفي أهم التنوعات النسقية التي ابدعها العقل الفني العربي الإسلامي في مختلف البلاد، وسيركز الباحث على الإنساق السائدة مستمرة التجويد في الوسط الخطي:

- الخط الكوفي

يعد هذا النسق الخطي من اقدم الإنواع ويَعُده البعض الأساس لما تلا لاحقًا من تنوعات خطية ، وللاشارة فأن الكتابات العربية القديمة تنقسم وكما متفق عليه إلى قسمين رئيسين هما (اللين واليابس) ويرجع هذا إلى القرن الأول الهجري، (فتطور الخط اليابس وتكونت منه الخطوط الكوفية المختلفة) (الحسيني، التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم، 2002، صفحة 73)، أما الخط اللين فقد انشقت منه بقية الخطوط اللينة المختلفة إذ يُنسب هذا التطور إلى الخطاط "قَطبة المحرر" الذي فتح عهدًا جديدًا في تطور الخطوط اللينة بأنواعها وذلك عن طريق اختراعه قلم الطومار، وقلم الجليل وعن هذين القلمين تفرعت الخطوط الأُخَر. من ضمنها خط الثلث ، كما عُدّ الخط العربي وسيلة شكلية موسومة لتأليف منظومة كلامية مقروءة على أساس لغوي أبجدي يضم إليه نسقًا من الوحدات والرموز المستخدمة لأغراض وظيفية وجمالية (سعيد، 1986، صفحة 51) ، فالخط الكوفي وما يتمتع به من صفات انمازت به حروفة من طبيعة شكلية وقابلية هذه الحروف لان تكون ذات طابع زخرفي ينشأ عن طريق تقاطع الحروف وتشابكها وامتدادها ومراعاة القاعدة الخطية والتصميمة عند تنفيذها، فقد تجاوز النص الخطي معناه حرفًا وجملة بوصفه زخرفة لمعنى آخر تتكون أو تنشأ عن طريق منظومة ايقاعية على الرغم من كونه قابلاً للقراءة (الحمامي، 1998، صفحة 26). واستمد جماله

الزخرفي أول المر من حسن الترتيب في كلماتة وتناسب حروفة واتزانها في مواضعها، واستمر استخدامه على الرغم من بساطتة ، وعلى الرغم من ظهور المفردات والعناصر الزخرفية المضافة الى الخط الكوفي ، التي زاد الإقبال عليها بمرور الزمن (حمزة، 1981، صفحة 55).

- خط النسخ

سمي بذلك لأن الكتبة كانوا ينسخون المصاحف على صورته، وهو من متولدات الخط النبطي، وهو خط لين ذو حروف مدورة استُعمل منذ القرن الأول قبل الهجرة كرديف مع الخط الكوفي ، ولاسيَّما في المكتبات وأعمال التدوين، وقد حل محل الخط الكوفي في الكثير من المجالات، طوره "ياقوت المستعصمي" المتوفى سنة (698)هـ ، ويُعد من بين الإنساق التداولية التدوينية المهمة للوظائفية القرائية التي يؤديها فهو واضح ومقروء، لذا استُخدم في المتون الكتابية ومنها كتابة المصاحف، ويجمع بين الرصانة والبساطة، ومثلما يدل عليه اسمه فقد كان النساخون يستخدمونه في نسخ الكتب. وكان النسخ شهد تطورًا كبيرًا في الشام منذ أواخر القرن الخامس الهجري، وحظي بنصيب وافر من التجويد مع خط الطومار ومشتقاته. ونافست مصر العراق في الإهتمام بالخط العربي منذ العصر الفاطمي؛ فطورت أنواعًا جديدة من الكوفي، وواكبت مسيرة الخط المنسوب فيها مسيرته في العراق، وسابقتها في تجويده، وتطور تدريسه فيها (الديواني، 2015)، وظهرت كلمة (نسخ) في نهاية القرن الثالث الهجري كون النوع الذي أتقنه "ابن مقلة"، و"ابن البواب" الذي اخذ بالتطور، ولم يبق قيد استعمال الناس في التدوين ، إنما أخذ يرتقي سلم التطور ،ولاسيَّما في عصر المأمون، إذ عُدَّ هذا العصر مرحلة ازدهاره ... ثم زاد في التجويد بعد ذلك أي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وذلك لإتقانه وتوجيهه على وفق قواعد مقررة ، فشاع في بغداد والأقطار العربية، وبقي هذا الخط الوحيد من بين بقية أنواع الخطوط في كتابة المخطوطات الدينية، لانه يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة اكبر من الثلث لصغر حروفه وتلاحق مداته، وجميع كتب المطابع تكتب بحروف النسخ لتحمله التشكيل بالحركات الإعرابية والتزينية، التي تُعد ضرورة وظيفية أولا ثم جمالية ثانيًا.

- خط الثلث

من انساق الخطوط العربية التي ظهرت مذ وقت مبكر من عصر التدوين الخطي ،اذ عُدَّ من أصعب الخطوط العربية اللينة ويحتاج الخطاط في رسم حروفه إلى مهارة عالية فمن يتقنه يتمكن في غيره من الخطوط الأُخَر بيسر وسهولة، ولا يُعد الخطاط خطاطًا إلا إذا أتقن رسم حروفه، (الحسيني، استخدام الخط العربي في المجلات العراقية المطبوعة بالأوفست، 1989، صفحة 37) فمن أتقنه أتقن غيره بسهولة ويسر، ومن لم يتقنه لا يعد بغيره خطاطًا مهمًا . وينماز عن غيره بكثرة المرونة إذ تتعدد أشكال معظم الحروف فيه؛ لذلك يمكن كتابة جملة

واحدة مرات عدة بأشكال مختلفة، ويعد "ابن مقلة" ، واضع قواعد هذا الخط من نقط ومقاييس وأبعاد، وله فضل السبق عن غيره، لأن كل من جاء بعده عمل على وفق منهجه الخطي، وجاء بعده "ابن البواب" ، فأرسى قواعد هذا الخط وهذبه، وأجاد تراكيبه، لكنه لم يتدخل في القواعد التي ذكرها "ابن مقلة" من قبله فبقيت ثابتة إلى اليوم وأخيرًا "ياقوت المستعصمي"، فضلا عن ذلك هو من الخطوط التي تتمتع بقيم جمالية في تراكيبه وحروفه المتنوعة ، ولاسيَّما في الشكل والإعجام ، وهناك تسميات أُخَر لخط الثلث منها ما يسمى (بالمحقق)، واتخذ هذا الإسم بسبب تحقيق كل حرف من حروفه للأهداف المطلوبة منه (الجبوري ت.، 1975، صفحة 39) ، ومن تسمياته الأُخَر (ألوراقي والمدني)، الذي تشعب إلى مدني لين ومدني حاد . أما سبب تسميته بالوراق فتعود إلى استخدامه من قِبل الوراقين (الخطاطون والنساخون) في الكتابة ، وتعود منظومته المنسوبة إلى قواعد واصول مازته، بوصفه هُوية فنية خاصة، فضلًا عن بنيته المتحركة والخصبة بشكل إبداعي لا متناهٍ في التكوينات الخطية، التي تتغاير وتتباين في المستويات الأسلوبية والأداء والتشكيل (حنش، الخط العربي وإشكالية النقد الفني، 1990، صفحة 88).

- الديواني والجلي الديواني

هما نسقان مهمان في سلسلة انساق الخط العربي ،اذ استحوذا مذ ظهرا على اهتمام الخطاطين للطابع الوظيفي والجمالي والتعبيري اللذان يتمتعان بها. سمي النسق الأول بالديواني، أو نسبة إلى ديوان السلطان العثماني ،إذ كان يُستعمل في كتابة المراسلات السلطانية. وله جماليته التي يستمدها من حروفه المستديرة والمتداخلة، وتفرع الخط الديواني إلى نوعين:

الديواني العادي: وهو خالٍ من الزخرفة. و الديواني الجلي، وتكثر فيه العلامات الزخرفية لملء (الفراغات) بين الحروف، وهو يستعمل في الزخارف ، ويُقال إن أول من وضع قواعده وحدّد موازينه الخطّاط "إبراهيم منيف"، اذ عُرف بصفة رسمية بعد فتح السلطان العثماني "محمد الفاتح" للقسطنطينية عام (857) هـ وسمّي بالديواني نسبة إلى دواوين الحكومة التي كانت يكتب فيها. وقَدِم الخط العربي إلى تركيا التي ابتكرت نوعا آخرًا من الخطوط أُطلق عليه الديواني يختص بالكتابات الرسمية في ديوان الدولة العثمانية ، وظهرت ملامحه الواضحة في القرن التاسع الهجري ويكون خطه بطراز خاص. وأول من وضع قواعده الخطاط "إبراهيم منيف" ، والديواني يطلق عليه (الهمايوني) (عفيفي، 1980، صفحة 156) وينماز بإستقامة سطوره من أسفلها فقط ولا يحتمل التشكيل، ولملاحظة ذلك تحتاج بعض من حروفه عند خطها قلم أدق ، وهو ذو شبه بخط الرقعة في عديد حروفه .

- خط الرقعة

من بين الأنساق الخطية التي طُورَت في الحاضنة الإسلامية ايام الدولة العثمانية ، ينماز بالسرعة في كتابته ، ويجمع في حروفه بين القوة والجمال في آن واحد. لا يهتم بتشكيله إلا في الحدود الضيقة بلإستثناء الآيات القرآنية، وهو من الخطوط المعتادة التي تُكتب في معظم الدول العربية. وجميع حروفه مطموسة عدا الفاء والقاف الوسطية، وتكتب جميع حروف الرقعة فوق السطر ما عدا الهاء الوسطية، والجيم، والحاء، والخاء، والعين ، والغين المنفصلات، وميم آخر الكلمة، أو الميم المنفصلة ، وشاع خلال حكم الدولة العثمانية، ولاسيَّما خلال القرن التاسع الهجري (9هـ - 15) م كتب به السلاطين العثمانيين منهم "سليمان القانوني" ، و"عبد الحميد الأول" (مرزوق، 1974، صفحة 153)، كما تعود بداية تأريخ هذا الخط إلى ما عثر به من كتابات ونصوص قديمة بهذا القلم تعود لسنة (866) هـ وما كتبه "سليمان القانوني"، والسلطان "عبد الحميد" ، وإن "ممتاز بك" هو واضع قواعده وكان ذلك في عهد السلطان "عبد الحميد خان" حوالي (1280) (الكردي، تأريخ الخط العربي وآدابه، 1982، صفحة 103)، وهو خط يميل إلى البساطة والبعد عن التعقيد.

- خط الطغراء

من الإنساق التي ينماز بها الخط العربي الحديث، الذي نما أيام الدولة العثمانية، وهو من الأنماط الذي يغلب عليه الظاهر الشكلي الايقوني، عُرف بكونه رسم يحمل اسم سلطان عثماني استُعمل توقيعًا وختمًا في البراءات والفرمنات السلطانية. (ar.wikipedia، الطغراء، 2024) ، ولعل أول من استعمله "مراد الثالث"... وتُكتب طغرة وطغرى وطغرا ويلفظها العامة طرة. وقد جوّد الطغراء "راقم"، و"إسماعيل حقي". وخط الطغراء مزيج بين خطي الديواني والإجازة ، ويرجع اصل كلمة الطغراء إلى شارة استعملها بعض خلفاء المسلمين ومنهم سلاطين مصر المماليك ، وقيل ان هذه الكلمة (تاتارية) الإصل تحتوي اسم السلطان الحاكم ولقبه (المصرف، مصور الخط العربي، 1980، صفحة 282)، هذا وتنوعت وتعددت التفاسير التي تعرف الطغراء واختلفت في بيان موطنه الإصلي .

3- الخط العربي ونسق التواصل

عُد الخط العربي مذ نشأ وسيلة للتواصل والتخاطب اللفظي والصوري ، وهذه السمة هي التي اعطته المكانة التي استحقها عن جدارة بوصفه نمطًا فنيًا ابداعيًا عزز مساقات التراث العربي ومخزونه الجمالي الثر، ومع تغير الدول، وتبدل الحكومات، كانت الكتابة تتطور وتتحسن، ويتعلمها جيل بعد جيل وتمشي مع الركبان والقوافل حاملة الحضارة، ومخلدة لها، إلى أن وصلتنا في الوقت الحاضر كاملة ناضجة، تتفاعل مع الحضارة الحديثة، مستوعبة مخترعاتها ومبتكراتها (فارس، 1978، صفحة 75)، فضلًا عن ذلك حملت المسيرة الطويلة معها الكُثُر من التقاليد والسلوكيات والعادات لتكون محطات عمل بين الأفراد والأُمم التي آمنت بالإسلام

وتعرفت آليات عمله الذي اخذ بالإنتشار بعد أن أظهر نفسه مساقًا تواصليًا معرفيًا تدوينيًا، إذ أضاف العامل الديني بعد ظهور الإسلام والدعوة إلى التعلم سببًا قويا للحاجة إلى التدوين وما تلاه من حاجة نشوء الدولة ودواوينها، واستمر هذا الأمر مؤثرًا حتى في وضع أصول الخط العربي الذي خدم كتابة المصاحف ، وأسهم في الزخرفة والتزويق (هاشم، 1987، صفحة 183)، ولم يكن العامل الديني إلا وجه من أوجه تواصلية مباشرة عدة تداخلت مع عوامل إجتماعية، وسياسية، وإقتصادية، فضلًا عن العوامل الإدبية والفنية التي مثل الخط العربي فيها الواجهة المثلى في التمثيل الحقيق للنسق المعرفي الجمالي لظاهرة فنية أخذت موقعًا مهمًا بين الناس، وكانت كتابة المصاحف وسيطًا جيدًا للتعبير عن القيم التواصلية بطريقة مبهرة. من هنا فأن الخط العربي بوصفه فنًا من الفنون لا ينبغي أن يُقرأ كنص مجرد: فالشخص الذي يجهل الكتابة العربية يمكنه أن يتذوق ويقدر تمام التقدير الخط العربي لجماله على نحو ما يتذوق ويقدر الصورة، فضلًا عن الهدف الفكري التعبيري ، فهو ليس تركيب مجرد عن معانيه ودالاته وقيمه التواصلية ، وهي مجموعة من الإرساليات المرئية التزينية التي تستوقف المتلقي ، ولمثل هذا نستطيع ارجاع المبالغة في وضع قواعد ثابتة وتفريعات كثيرة للخط العربي الذي تفرد بجماليات خاصة بين اللغات المكتوبة حتى صار وسيلة تزينية ، فدخل إلى الفن الشكيلي ليعطي اللوحة ابعادًا مرئية جديدة (أمين، 1992)، وعُدَت خصائص حديثة الإستخدام أسهمت في اخراج الخط العربي من نسقه التدويني القرائي الصرف إلى أن يكون نسقًا وظيفيًا تواصليًا معززًا بقدرات بنيوية تخص الحرف أولا، والتكوين ثانيًا ، ولقد كان اهتمام العرب بالخط كبيرًا، لأنه الوسيلة التي حفظوا بها تراثهم العريق، وبه كُتب القرآن الكريم، والحديث الشريف، والحكم والمواعظ، والأشعار. فتفننوا بإبتكار الصفات والألقاب للخط العربي، لذا بذلوا الكثير بغية تطويره وتصويره مُمثلًا عن القيم التراثية الإبداعية للعرب والمسلمين ، بل عدوه فنًا مقدسًا، يجب أن يجوده كل من يمارسه.

إن الحديث عن القيم التواصلية التي اتسم بها الخط العربي يقودنا نحو إستحضار بعض العناصر الأساس في عملية التبادل:

- زمنية التواصل ، وهو ما عمل الخط العربي اثناء مسيرته التواصلية بين الأُمم والأمصار .
- المكانية، أو المحلية ، القدرة في التناغم مع المكان والبيئة وتعزيز القدرة التفاعلية .
- السُنن، أو لغة التواصل(التشفير والتفكيك)، إذ عن طريقه قُيمت تراكيب تتصل بالبنى التكوينية.
- السياق، اذا إرتبط بسياقات تراتبية تتصل بتكاملية المعنى والدلالات المرتبطة بالنص المرئي.
- رهانات التواصل، عن طريق ابتكار آليات نفاذ مرئية بعيدًا عن إتباع الألية القرائية ، وهو منجز أسهم كثيرًا في اعلاء شأن الخط مرئيًا وتعبيريًا.

- التواصل اللفظي(اللغة المنطوقة) والتواصل غير اللفظي، إذ جمع محورين يتفقان حينًا ويختلفان حينًا عن طريق ايجاد قيم مشتركة بين الملفوظ وبين المقروء .
- إرادة التواصل(بث الإرسالية قد تكون إرادية، أو غير إرادية)، وكان في مجموعها متصلة (النعسان، 2016) ، وهو ماقدمته الأنساق الخطية في مختلف تفريعاتها الشكلية، التي أوجدت لنفسها قنوات اتصال معرفية معززة للتواصل والتوصيل .

إن العناصر تلك اشتغل على وفقها الخطاطون على مر العصور، إذ مثلت فضاءًا معرفيًا ضمن مجموعة المعارف المرئية الجمالية بغية التواصل الحثيث زمنيًا ومكانيًا ، وكان الرسول يحث الناس على تعلم الكتابة والقراءة كأداة لمعرفة الدين ووسيلة لنشره. وتُشير الروايات التأريخية إلى أن الرسول(ص) طلب من بعض أسرى قريش، بعد معركة بدر الكبرى، من الذين لم يقدروا على فداء أنفسهم، أن يُعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، كما تُشير النصوص التأريخية بأن الرسول (ص) كان يشجع النساء على تعلم القراءة والكتابة. (فتوحي، 1980، الصفحات 20-10) ، وَعُدَ هذا الأمر بحسب رأي الباحث أُوَل المبادرات التواصلية التي جمعت بين التعلم وبين الإتصال مع ثقافات أُخُر(اشرت لها مسبقًا) ، فضلًا عن كونها بادرة لتعلم النمط الكتابي والنشر المعرفي على وفق نسق جديد لم يكن مالوفًا في ما سبق ، كما أسهم بشكل مباشر في انتشار الخط العربي عبر الوسيلة الإسلامية ، كما اشتمل بعض أقطار أوروبا، وتوغل في إفريقيا. وكتب أبناء هذه الشعوب لغاتهم ولهجاتهم المختلفة بالخط العربي بعد أن بلغتهم دعوة الإسلام. (الطرابلسي، 1986، الصفحات 23-27) وانتظموا ضمن منظومة تواصلية معرفية جديدة هي في الواقع تمثل جميع المعارف، التي تواصلت حلقاتها حاملة معها الأسماء، والأفعال، والأفكار، والخبرات، والمشاعر، فضلًا عن ذلك شكلت هذه المنظومة حاضنة لما حصل من اضافات قدمتها الشعوب التي انضوت تحت خيمة الإسلام ، وكان الأسلوب النقلي للخط العربي آلية اجتذبت الكُثُر بغية التعلم ،أو لدوافع أُخَر ، مِن ثَمَّ تشكلت المنظومة التواصلية على وفق أُطر معرفية نسقية متكاملة ، التواصل الذي يمثل نمطًا من أنماط الإبلاغ والإطلاع والإخبار أي نقل "خبر ما" ... كما يشير إلى فعل التوصيل والدلالة على الشيء الذي يُبلَغ، والوسائل التقنية التي يُتواصل بفضلها" (مشتهري، 2016)، ليس هذا فقط ، بل هو آلية "نقل معلومات من مرسلٍ إلى متلقٍ بوساطة قناة، بحيث يستلزم ذلك النقل من جهة، توافر شفرة. ومن جهة ثانية تحقيق عمليتين اثنتين: ترميز المعلومات ، وفك الترميز ، مع ضرورة عملية التواصل، وكذا أشكال الإستجابة للرسالة والسياق الذي يحدث فيه التواصل (الملاخ، 2015)، هذا ومثل الخط العربي على وفق تلك التعريفات وسيلة تعريف وتلقٍ في ذات الوقت ونُظر إليه قناة اتصال يمكن أن تتوثق وتبني اواصر تقوم على قاعدة الوظيفة القرائية والجمالية ، فضلًا عن البعد التدويني التوثيقي، وكانت (الكتابة العربية) في إيران منذ

البداية وسيلة الفرس في قراءة القرآن، وكان تعلمها أمراً شديد الوجوب، وسرعان ما أصبحت كتابتهم الرسمية والقومية، ومنذ البداية فعلت الكتابة العربية في إيران فعلها القوي الغالب (ابراهيم، قصة الكتابة العربية، 1947، صفحة 77)، ومن امثلة التواصل المبهرة التي حصلت عندما دخل العرب المسلمون إلى اسبانيا ، الذي مثل تحولًا جذريا في عالم الثقافة والفكر، ومع دخول الإسلام إليها دخلت الحضارة ،اذ أصبح الحرف العربي يمثل مرافق الحياة الحضارية والفكرية كافة، فهو سطور الكتاب وزخارف اللوحات والبيوت والمساجد والمرافق الثقافية وقصور الحكام والأمراء والسلاطين، وكُتب في الكنائس، وبه قرأ المسلم القران الكريم وأصبح ،الأدباء، والشعراء، والمؤرخون، والفنانون من الأديان والطوائف في الأندلس كافة يكتبون باللغة العربية وبالخط الكوفي الأندلسي حيث وجدوا بهذا الحرف وسيلة لإنتشار الثقافة والفن البديع، وازدهرت الأندلس ونسي المجتمع الذي عاش فيها قرونًا طويلة اللغة التي كانت سائدة في الأندلس قبل دخول الإسلام إليها مما دفع ملوك أوربا إلى إرسال أبنائهم إلى الجامعات والمراكز الثقافية في الأندلس لتعلم العلوم والمعارف باللغة العربية والعودة إلى بلادهم بعد إتقانها ماجعل كبار المفكرين والمؤرخين يفخرون بأيام العرب المسلمين وأثارهم في الأندلس وما أبدعت عقولهم وأفكارهم وما صنعت أناملهم (جاسم، 2010)، وأضاف العامل الديني بعد ظهور الاسلام والدعوة إلى التعلم سببًا قويًا للحاجة إلى التدوين وما تلاه من حاجة نشوء الدولة ودواوينها . وهذا الأمر استمر كمؤثر حتى في وضع أصول الخط العربي الذي خدم كتابة المصاحف وأسهم في الزخرفة والتزويق (المصرف، موسوعة الخط العربي، 1984).

لقد أعطت المخطوطات العربية هيأة مخصوصة للخط العربي يتدرج إحساس بها من البصر إلى الإدراك العقلي . فأول ما يستثير البصر في المخطوط العربي ذي المادة النثرية أو الشعرية قدسية الكلمة المخطوطة وبهاؤها المتكامل بشخصيتها التي يتآزر فيها الماضي (زمن مدرك) والحاضر (المكان المرئي) في ترسيخها ونقل تأثيرها الذي غدا شيئًا فشيئًا تأثيرًا رتيبًا فيه من التماثل والتتابع مثل ما في الكتابة العادية، وما في اللغة المنطوقة . ولما كان الخط يرتبط مرئيًا بالكتابة التي حفظتها المصاحف فقد انتقلت إليه قدسية مشابهة (نوّار، 2023).

منهجية البحث

تشير أبحاث الإتصال الثانوية إلى أية بيانات تجمع لغرض واحد من قبل طرف واحد، مِن ثَمَ وضعها للإستعمال ثانية لأداء خدمة ما من طرف آخر، أبحاث الإتصال الثانوية هي الأوسع والأكثر انتشاراً وأداة داخل مجموعة من الأدوات، لأنه يتضمن تقريبا أي معلومات يمكن إعادة إستعمالها ، فضلاً عن ذلك هي طريقة بحث شائعة تنطوي على إستعمال المعلومات التي جمعها أُخَر عن طريق البحوث الأولية ،البحث الحالي يتخذ من الأدبيات ذات الصلة عمقًا مرجعيًا ومعرفيًا لتتبع مسيرة الخط العربي بوصفه نسقًا معرفيًا تواصليًا.

الإستنتاجات

توصل البحث إلى مجموعة من الإستنتاجات ، هي على النحو الآتي:

1- مَثَّل انتشار الخط العربي نمطًا معرفيًا نوعيًا في الوسط المحلي العربي والإقليمي، الذي وجد فيه بيئة تدوينية مناسبة للدين الجديد ، فضلًا عما يحمله من بعد فني جمالي ، وعلى وفق ذلك أسهمت البنية التواصلية بين الأفراد والأُمم التي فُتحت في ترسيخ القيم الوظيفية ، ونقل المعرفة الخطية على وفق طرائق متنوعة.

2- إنفتح الخط العربي إنفتاحًا جديدًا في مفهوم التدوين والحفظ ، إذ لم يَعد مفهوم الكتابة محصورا بفئة من الكتبة ، بل توسع إلى أن يكون نسقًا ابداعيًا تنافسيًا بين الخطاطين ، ليس بسبب الوعي التدويني ، بل التزييني كذلك، ما يمثل انتقالة جديدة في طرائق التعبير الكتابي .

3- انعكاس التاثيرات النصية والبلاغية شكل مفصلًا في تطور انساق الخط العربي، لما لها من بعد عقائدي قدسي ، وتأتى ذلك عن طريق البحث عن قيم جديدة يحملها الحرف العربي الذي ظهر على وفق طابع تجريدي قابل للتشكيل بمرونة عالية.

4- جاء اهتمام الخطاطين بتقديم اشكال جديدة لأنساق الخط العربي ، ملبيًا لرغباتهم واعتقادهم ، بأن مايقدمونه إن هو الا مرضاة لله ولعقيتهم التي يؤمنون بها ، لهذا فأن التنافس والتشجيع أثمر عن الوصول الى نتائج ابداعية مبهرة .

5- حمل الحرف العربي أول ما جرى التداول فيه قيمًا تواصلية ، فهو المعبر عن إشتغالات الناس ، ومطابق لما يتحدثون به، فضلًا عن الإرتباط مع البيئة التي نما فيها وتطور ، لذلك فإن تداوله لم يكن غريبًا ، بل هو من صميم الحاضنة والمعبر عن شخصيتها القيمية والعقائدية.

6- بدت تأثيرات التشجيع المادي والمعنوي واضحة في تعزيز البعد الإبداعي ، وفي تطور انساق الخط العربي في العصور الإسلامية، بل أنها أسهمت في ايجاد اسلوبية فنية للتعامل مع النصوص الخطية وكتابة المصاحف ، ما اسهم كذلك في ارتقاء القيمة الإعتبارية للخطاطين ، واصبحت لهم مكانة قل نظيرها في المجتمع الإسلامي.

7- الإهتمام التي ابدته الأمصار الإسلامية بالخط العربي هو طبيعي في ضوء انتشار الدين الإسلامي ومايتطلبه من مستلزمات تدوينية لحفظ القرآن الكريم وتعليمه ، والملفت للنظر هو الشخصية الجديدة التي أسبغت على بعض من مبتدعات الآنساق الخطية ، وارتباطها بالبيئات الوافدة لها ، مايؤكد القيمة الوظيفة والجمالية والقابلية على المواكبة والتشكل دون عوائق ثقافية ، أو فكرية.

8- الإيمان والإرتباط العقائدي مهمان في سياق تطور النسق الخطي ،إذ أسهم في تشجيع الخطاط على مواصلة الكتابة اليومية وتعليمها للآخرين ، فضلًا عن محاولات التشذيب

والتهذيب لما يُكتب ، بل أنه اضاف استخدام آخر على مايُكتب من ذلك :اللون والزخرفة والتذهيب.

9- تنوع انساق الخط العربي قَدَّم فهمًا جديدًا لمفهوم التراث العربي ، وصار جزءًا مهمًا في منظومتها المعرفية التواصلية ، ما أسهم كثيرًا في ارتقاء المنجز الخطي إلى أبعد من أن يكون فنًا حرفيًا محصورًا عند فئة محددة من الناس ،إلى أن يكون فنًا جميلًا مقبولًا محليًا وعالميًا.

10- اشتراك الكثير من الدول العربية وغير العربية في تطوير واضافة انساق خطية جديدة هو خير عن القيمة القدسية التي يحملها الخط العربي ، بِوصفه صورة جديدة لفن إسلامي جامعٍ عابرٍ للحدود ، يعمل على وفق صيغ ابداعية هدفها الأساس الإرتقاء بالنوع الخطي إلى مراتب نوعية افضل، وهو هدف يسعى إليه المشتغلون بالخط النابع عن عقيدتهم وشخصيتهم الإسلامية.

المصادر

1. نجوى صديق الحمامي. (1998). البناء النسقي للإيقاع في الرسم ، مجلة الأكاديمي، 6(2).
2. aletihad. (13 يوليو، 2016). الخط العربي انتشر مع الإسلام في كل الدنيا :aletihad.ae https://www.aletihad.ae/article/30060/2016
3. al-hakawati. (12 دسيمبر، 2016). عودة الى تقاليد الخط العربي، مجتمعه وتقاليده. al-hakawati.net: http://al-hakawati.net/Home
4. ar.wikipedia. (24 فبراير، 2024). الطغراء:ar.wikipedia.org https://ar.wikipedia.org/wiki
5. ar.wikipedia. (12 مارس، 2024). الخط العربي:ar.wikipedia.org https://ar.wikipedia.org
6. kenanaonline. (11 نوفمبر، نوفمبر 2009). أصل الخط العربي. :kenanaonline.com https://www.kenanaonline.com
7. raialyoum. (28 كانون الثاني، 2020). الخط المغربي.. تاريخ تطور وتنوع وواقع تداخل حضاري. raialyoum.com: https://www.raialyoum.com /
8. أحمد الشايب. (1994). اصول النقد الادبي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
9. أحمد فارس. (1978). الكتابة عبر تأريخها الطويل. الفيصل(11).
10. إدهام محمد حنش. (1990). الخط العربي وإشكالية النقد الفني. بغداد: مكتب الإسراء للنشر والدعاية والإعلان.
11. اديث كروزويل. (1993). عصر البنيوية. الكويت: دار سعاد الصباح.
12. اسامة ناصر النقشبندي. (1985). حضارة العراق. بغداد: دار الحرية للطباعة.
13. الاء طبيشات. (17 سبتمبر، 2018). خصائص الحروف العربية. :mawdoo3.com https://mawdoo3.com

14. آمال نوّار. (2023). الشعر في زمن وسائل التواصل الاجتماعي... مُتَع فورية لقارئ نَزِق. الفيصل.
15. انور سهيل. (ب.ت). الخطاط البغدادي علي بن هلال المشهور بإبن البواب. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي.
16. اياد حسين عبد الله الحسيني. (1989). استخدام الخط العربي في المجلات العراقية المطبوعة بالأوفست. جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة.
17. اياد حسين عبد الله الحسيني. (2002). التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم. دار الشوؤن الثقافية العامة. بغداد.
18. ايمان الحياري. (28 حزيران، 2018). مفهوم المعرفة. mawdoo3.com: https://mawdoo3.com
19. تركي عطية عبود الجبوري. (1975). الخط العربي الإسلامي. بغداد: دار البيان.
20. جمعة ابراهيم. (1947). قصة الكتابة العربية. القاهرة: دار المعارف.
21. جمعة ابراهيم. (1969). دراسة في تطور الكتابات الكوفيّة. القاهرة: دار الفكر العربي.
22. جميل حمداوي. (4 آب، 2010). سيميائيات التواصل اللفظي وغير اللفظي. diwanalarab.com: https://www.diwanalarab.com
23. حسان صبحي مراد. (2003). تأريخ الخط العربي بين الماضي والحاضر. بيروت: الدار الجماهيرية.
24. حسن مختار. (27 تموز، 2022). لخط العربي في الصين.. رحلة عبر التأريخ. m-a-arabia.com: https://www.m-a-arabia.com
25. حمزة حمود حمزة. (1981). التوريق والتزهير في الخط الكوفي حتى منتصف القرن الخامس الهجري. بغداد: جامعة بغداد، كلية الآداب.
26. صالح أحمد الشامي. (1990-1987). الفن الإسلامي التزام وإبداع. دمشق، الحلبوني: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.
27. عبد الرضا داود بهية. (1997). بناء قواعد لدلالات المضمون في التكوينات الخطية. كلية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد.
28. عبد اللطيف هاشم. (1987). جمالية الخط الكوفي. مجلة العربي(338).
29. علي محمد أمين. (1992). عبقرية الخط العربي. (9).
30. فوزي سالم عفيفي. (1980). نشأة وتطور الكتابة الخطية ودورها الثقافي والاجتماعي. القاهرة: دار غريب للطباعة.
31. كريم نصيف جاسم. (23 آذار، 2010). ابداع الخط العربي في بلاد الأندلس. alnoor.se: http://www.alnoor.se/article
32. محمد اسماعيل بغدادي. (14 نسيان، 2007). اضواء خاطفة على طبيعة الخط العربي ونشوئه وتطوره. al-najaf.org: http://www.al-najaf.org
33. محمد الديواني. (19 يناير، 2015). بحث عن الخط العربي اصله وتطوره. calligraphy-arab.blogspot.com: https://calligraphy-arab.blogspot.com

34. محمد رشاد الجابري. (23 نوفمبر، 2009). سلطة المعرفة. al-jazirah.com: https://www.al-jazirah.com/2009/20091023/rj12.htm
35. محمد طاهر الكردي. (1982). تأريخ الخط العربي وآدابه. الرياض: ، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.
36. محمد مشتهري. (9 نيسان، 2016). منظومة التواصل المعرفي (1). ansarsunna.com: https://www.ansarsunna.com
37. محمد هشام النعسان. (11 حزيران، 2016). تطور الخط العربي وعالميته . landcivi.com: http://www.landcivi.com/new_page_56.htm
38. محمود شكر الجبوري. (1974). نشأة الخط العربي وتطوره. بغداد: منشورات مكتبة الشرق الجديد.
39. محمود شكر الجبوري. (2001). المدرسة البغدادية في الخط العربي. بغداد: بيت الحكمة.
40. مصطفى اوغر درمان. (1990). فن الخط تأريخه ونماذج من روائعه على مر العصور. مركز ابحاث التأريخ والثقافة والفنون الإسلامية ،استنبول.
41. مصطفى عبد العزيز الطرابلسي. (1986). جولة مع الخط العربي. طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع و الإعلان.
42. ميري عبودي فتوحي. (1980). فهرسة المخطوط العربي. بغداد: وزارة الثقافة و الإعلام.
43. ناجي المصرف. (1980). مصور الخط العربي. بغداد: مكتبة النهضة.
44. ناجي المصرف. (1984). موسوعة الخط العربي. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.
45. نجيبة الكيلاني. (1987). الإسلامية والمذاهب الادبية. شارع سوريا، باية صمدي وصالحة: مؤسسة الرسالة.
46. نعيمة حسن جبر رزوقي. (2002). رؤية مستقبلية لدور اختصاصي المعلومات في ادارة المعرفة،ادارة المعلومات في البيئة الرقمية:المعارف والكفاءات والجودة. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. بيروت.
47. نور الدين الملاخ. (26 شباط، 2015). مفاهيم في التواصل. aljamaa.net: http://www.aljamaa.net